خالعة القلوب " ﭺ ﭻ"؟!

ﭽﭼ ﭼ ﭿ ﭾ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ
ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ
ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ (التوبة).

كم هـو أمـر جلـلٌ عنـد أهـل الإيمـان أن يعـاتبهم اللـه سبحانه على أنه أمرهم فلم يعملوا، أو اسـتعجلهم فتـأخروا، أو استقرضـــهم فبخلـــوا، أو رغَّبهم فكرهـــوا، أو شـــجَّعهم فجبنوا؟!

كيف تحتمل القلـوبُ المؤمنـة عتـابَ اللـه تعـالى، وهي التي تعمل ليل نهار راجيةً مرضـاته، تجـوع صـائمةً ليرضـى، وتنفق الأموال في سبيله ليرضى، وتركب الأهـوال ليرضـى، وتفارق الأحباب وتعادي العالمين ليرضـى سـبحانه، وتمشـي على وجهها لو قدِرت بدل رجليهـا ليرضـى سـبحانه، ولسـان حال كل واحد من المحبين يقول:

بعثُ ذاتي على حبيب قريب ... من فؤادي ومنه حبي وذاتي
تاه لبي وذاب قلبي لربي ... فهو حبي وسلوتي في حياتي
وله كلُّ ذرة في كياني ... ومماتي ومنسكي وصلاتي
يا مرادي هذي ترانيم حبٍّ ... من فيوض المشاعر الخاشعات
أنت أهل الثناء والمجد فامنن ... بجميلٍ من الثناء المُواتي
ما ثنائي عليك إلا امتنانٌ ... ومثالٌ للأنعم الفائضات
يا محب الثناء والمدح إني ... من حيائي خواطري في شتات
ذابت النفسُ هيبةً واحترامًا ... وتأبَّت عن بلع ريقي لهاتي
حبنا وامتداحنا ليس إلا ... ومضةٌ منك يا عظيمَ الهبات
لو نظمنا قلائدًا من جمانٍ ... ومعانٍ خلابةً بالمئات
لو برينا الأشجار أقلام ... بمدادٍ من دجلةٍ والفرات

شكرٍ
أو نقشنا ثناءنا من دمانا
لو نُشِرنا في ذاته أو رُمينا
أو جهدنا نفوسنا في قيامٍ
أو مزجنا نهارنا بدجانا
أو قطعنا مفاوزًا من لهيب
أو سجدنا على شظايا رصاص
أو بكينا دمًا وفاضت عيون
ما أبنَّا عن همسة من معانٍ
أو أتينا لذرة من جلال

أو بذلنا أرواحنا الغاليات
برماح فتَّاكة مُشرعات
وصيام حتى غدت ذاويات
في صلاةٍ وألسنٍ ذاكرات
ومشينا بأرجل حافيات
أو زحفنا زحفًا على المرمضات
بلهيب المدامع الحارقات
في حنايا نفوسنا ماكنات
أو شكرنا آلائك الغامرات[1]

أفترى هؤلاء يهون عليهم عتاب ربهم سبحانه، كما يهون على كثيرين ممن استمعوا لعتاب الله سبحانه، وتركوا الجهاد، وكأنَّ شيئًا لم يكن؟

يقال لكم: ﭽ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ (الصف: ٤). ولا تقاتلون؟!

يستنصركم إخوانكم في الميدان، وأنا أقول لكم: ﭽ ﮓ ﮔ ﭼ ثم لا تَنصرون؟!

تزعمون الإيمان بي، وتزعمون حبي ولا تنفرون؟!

ما لذرات الإيمان في قلوبكم تسمع الصريخ يستنفرها في سبيل الله ثم هي لا تتحرك في الصدور؟! ما لآيات النفير لا تموج بالرجال كموج البحار إذا جاءته الريحُ العاصف؟!

أيتها النفس: أتحبين الله؟! أتحبين ما يحب الله؟ إذن فلم تعتذرين عن الاستجابة لندائه؟!

عزَّت الروح على خالقها؟! عزَّ المال على واهبه؟! قدَّمتِ الزوجةَ والذريةَ؟! رغبتِ في الحياة وملذاتها

[1] من قصيدة "الله أهل الثناء والمجد" للدكتور ناصر بن مسفر الزهراني ص 16.

ومألوفاتها؟ إذًا فلتسمعي ما يقول الله: ﭽﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟﭼ (التوبة: ٢٤).

هذا هو مقياس الحب الوحيد عند الله تعالى إذا دعى داعي الجهاد، ولا مقياس حبٍّ آخر، فليختر كل واحدٍ حبيبه.

ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘﭼ، فحبُّ الثلاثة لا يفترق: الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وجهاد في سبيله.

تُرى ماذا حصل للمؤمنين حين نزل جبريل عليهم بعتاب رب العالمين: ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑﭼ (التوبة: ٣٨).

سبحان الله: الله تعالى يستنفرهم، وهم لا ينفرون؟! إذن فهؤلاء ليسوا بأصحاب محمد ولا هم بتربيته صلى الله عليه وآله وسلم! ولا يكونون من التابعين لهم بإحسان ولا من الذين جاؤوا من بعدهم واستقاموا على نهجهم.

فما كان أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم يحتملون القعود إذا ما دعى داعي النفير. هذا يقوم عن بِكْره في ليلة عرسه، وذاك ينفض يدَه عن تجارته وعمله، وهذا يلعق أصابعه ويقوم عن طعامه، وهذا يثور من لحافه إلى سلاحه، وهذا يقطع حديثه مع جُلاَّسه، ولسان حال أحدهم يقول: من يعذرني بعد عتاب ربي؟ فقد قضى اللهُ وحكم وقطع كلَّ عذر وجزَم، وليس ثمة إلا ما قال الله: ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋﮌ ﭼ.

يقول راشد الحبراني: وافيتُ المقدادَ فارس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحمص على تابوت من توابيت الصيارفة، قد أفضل عليها من عظمه، يريد الغزو، فقلت له: قد أعذر الله إليك. فقال: أبت علينا سورة البُحُوثِ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭼ[1].

[1] أخرجه ابن سعد 3 / 1 / 115، وأبو نعيم في " الحلية " 1 / 176، والحاكم 3 / 349، وصححه، وابن جرير 10 / 139. وانظر سير أعلام النبلاء 1/388.

ويقـول ابن عمـر رضـي اللـه عنهمـا: رأيت عمـارًا يـوم اليمامـــة على صـــخرة، وقـــد أشـــرف يصـــيح: يـــا معشـــر المسلمين، أمِنَ الجنـة تفـرون؟! أنـا عمـار بن ياسـر هلمـوا إليَّ! وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت، فهي تذبذب، وهو يقاتـل أشد القتال[1].

الأذن تذبذب دمًا، وهـو يحـرِّض على الجنـة، بـل لسـان أحدهم: لا والله فلو بقيت الروح تقعقع والعنـق تذبـذب، بـل تثور دمًا لقاتلنا في سبيلك ربنا، ولا تسعنا الحياة بعد عتابك.

ويبقى النـاس يقـرؤون هـذه الآية كما يقـرؤون القـرآن كله تعظيمًا وتكريمًا وعملاً وتقـديمًا، فـإذا ما صـاح صـائح النفير، تفجَّر بركـان هـذه الآية في قلب المـؤمن، فلم يملك قعود لحظة.

كيف تطيب الحيـاة، وهو يـرى بعينيه جنـدَ الله يجولـون ويصولون يَقتلون ويُقتلون؟ وإذا بهذه الآيات تأتي كأنَّ جبريل نـزل الآن، وكـأنَّ حكم الله سـيُختم به الآن، أهو منـافق أو مؤمن؟ فإذا بالآية تلهب قلبه، وتقلي جنبه، وتطير نومته.

الله يقول: ﭽ ﭾ ﮀ ﭼ؟! وجوابي عليه: القعود.

الله يقول: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋﭼ؟! وجوابي عليه: الرضا بالحياة الدنيا. الله يقول: ﭽ ﭑ ﭒﭼ! وجوابي عليه: الإصرار على القعود.

لا والله: حتى لو كان لي عذر فليَشهد اللهُ حضوري وأنا معذور خير من أن يشهد قعودي على أيِّ حال كان.

قال الزهري: خرج سعيد بن المسـيب رحمـه الله، يريد الغزو، وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل له: إنـك عليـل صـاحب ضرر. فقـال: اسـتنفر اللهُ الخفيفَ والثقيلَ، فـإن لم يمكـني الحرب كثَّرت السواد وحفظت المتاع[2].

وعن أنس أنَّ أبا طلحة رضي الله عنهما، قـرأ سـورة براءة، فأتى على هذه الآية ﭽ ﭑ ﭒﭼ. فقال: ألا أرى ربي يستنفرني شـابًا وشـيخًا، جهِّزوني، فقـال لـه بنـوه: قـد

---

[1] أخرجه ابن سعد 3/1/182. وانظر سير أعلام النبلاء 1/422.

[2] تفسير البغوي 4/54.

غزوتَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُبض، وغزوتَ مع أبي بكر حتى مات، وغزوت مع عمر، فنحن نغزو عنك، فقال جهِّزوني، فجهزوه، وركب البحر، فمات، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام، فلم يتغير[1].

نعم، قد يغفل أهل الإيمان عن الجهاد في سبيل الله مرة، لكن حين تقرع أسماعهم هذه الآيات، فإنهم لن يهدؤوا حتى يقارعوا العدوَّ في الميدان، ويرفعوا عتاب ربهم عنهم، ولسان أحدهم يقول: لا والله إلا عتابك ربِّنا.

وها قد صاح صائح النفير في وادينا، وادي العراق، ها قد حضر الاختبار.

فماذا أنتِ صانعةٌ أيتها النفس أمام حكم الله؟ أمام حبِّ الله ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ أمام استنفار الله؟ أمام استنصار الله والمؤمنين؟ أمام هذه الآيات العظيمة؟

ها هي الآيات التي حرَّكت الأجيالَ المؤمنة، وأطارت نومها، وأذهلتها عن التجارة والولد والصاحب والترف، وهرعت مسرعة خائفة أن يصيبها حكم الله بالنفاق.

ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ (التوبة).

بالله عليكِ أيتها النفس، ماذا أبقيتِ للمنافقين إن قعدتِ وتركتِ الجهاد؟ قعدتِ كما قعد المنافقون، عميتِ عن الآية كما عمي المنافقون، بخلتِ بالمال كما بخلوا، ظننتِ السعادةَ والسلامة بالجلوس، والموتَ بالخروج، كما صرح بذلك المنافقون، ظننتِ أنَّ النصر لأعداء الله، كما ظن المنافقون، استنصركِ إخوانك في الله فلم تنصري، **فماذا أبقيتِ للمنافقين الأولين؟ وهل من فارقٍ بينكِ وبينهم**؟!

---

[1] أخرجه أبو يعلى (3413)، وابن حبان (7184)، والحاكم 3/353. وعزاه الهيثمي في "المجمع" إلى أبي يعلى والطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح.

أيتها النفس: تعالي نتحاسب حسابًا يزيل التلبيس ويطير الخداع، حسابَ صدق قبل حساب الله؛ لتحيين على بينة أو تهلكين على بينة، وليكن في هذا بلاغ وحجة، تقطع اعتذار كلِّ متخلف بغير عذر.

أيتها النفس: كأنَّك تطمعين بموتةٍ في قصرٍ منيفٍ على فراشٍ وثير؟! فَلْتُهْنِك تلك الموتة التي تحسبينها هيِّنة ناعمة! ولْيُهْنِك نزعُ ملك الموت روحَكِ نزعًا، يُخرجها من كلِّ خلية حية إخراجًا، فكأنَّ لكل خلية روحُها وحياتُها، وكأنَّ روحَك تُنزع بعَدد خلاياكِ، وكأني بكِ تشهقين بكل روح وتغرقين في الموت، وتغرقين وتغرقين... غمراتٌ في غمراتٍ في غمراتٍ متواصلة متراكبة، ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ (الأنعام: ٩٣).

أيتها النفس: هل ترغبين عن موتة الشهيد التي وصفها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "كمس القرصة"، فقد صح عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (ما يجد الشهيد من مس القتل، إلا كما يجد أحدكم من مسِّ القرصة)[1]. لطفٌ من الله بمن قدَّم روحه لله، وشرع في أسباب ذهاب روحه في سبيل الله، وما انتظر أجله أو اتقاه بأخذ أسباب الحياة على حساب دينه، وما انتظر خلع ملك الموت لها، فلا ملك الموت يؤذيه، ولا إخراج الروح يزعجه أو يحزنه أو يجرحه، وكأنه الاستئذان بالانتقال من دار الفناء إلى دار النعيم، وفيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحمزة سيد الشهداء ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ (النساء: ٦٩).

سبحان الله ما أحلاها من قرصة، وما أطيبه من تنبيه، وكأنَّ الروح لم تُقبض، وكأنَّ الموتَ ما مرَّ بك، بل كأنَّ

---

[1] أخرجه أحمد 2/297، والدارمي (2408)، والترمذي (1668)، والنسائي 6/36، وابن ماجه (2802)، وابن أبي عاصم في "الجهاد" (190)، وابن حبان (4655)، وأبو نعيم في "الحلية" 8/264، والبيهقي 9/164، والبغوي في "شرح السنة" (2630). قال الترمذي: حسن صحيح غريب. وقال الألباني: حسن صحيح. وقال شعيب: إسناده قوي.

حياتك الدنيا موتٌ بالنسبة لهذه الحياة الجديـدة، ويـا لهـا من ولادة جديدة في حياة جديدة مديدة سعيدة كلها حيــاة ورزق وفرح وفضـل واستبشـار، ألم يجمـع اللـه كـل ذلـك للشـهيد خاصة من بين جميع الموتى، فقال سبحانه: ﭽﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ (آل عمرآن).

قلبي بحبك يا شهادة نابض — لما رأيت الصدق ينبض في المقل
هيا إلى ساح الجهاد فكلنا — شوق لنثأر للمذابح في عجل
فإذا رجعت من الجهاد مظفراً — ألقاه بالوجه المضيء وبالقبل
وإذا قضيت فإنني مشتاقة — ولجنة الفردوس يحدونا الأمل[1]

أيتها النفس: كأني بكِ تحسدين العملاء على **العلف** الكثــير الــذي أُلقي لهم، أو تغبطينهم على رضـا عــدوِّ اللــه عنهم، أو تتمنين أن تتفتح لك الـدنيا كمـا تفتحت لهم؟! فـإذا استأذنوا العدوَّ أُذِن لهم، وإذا دخلوا المنطقة الخضــراء رُحِّب بهم، وإذا دخلوهـا أو دخلـوا الـدوائر الحمـراء أو الــوزارات الحكومية صفقت لهم أكف الأبواب، وإذ استشفعوا في رجل قبلت شفاعتهم...؟!

إذن فلْيُهْنِـكِ شـرف صـحبة هـذه الوجـوه الكالحـة، ألا شاهت الوجوه:

ونافخ الكير أضحى سيدًا عطرًا — وحامل المسك يا تُعساه قد هُردا
وسارق الكحل من عين مؤرَّقة — أضحى أمينًا يَطِبُّ الحَسْرَ والرمَدا
وخائن العهد قد أضحى — وصادق الوعد في الخُوَّان

---

[1](?) من قصيدة "حوار" لعلي الحاجي، مجلة البيان، العدد (80) ص (55).

أخا ثقةٍ قد حُشِدا[1]

يا نفس: عودي، يا نفس أصغ قليلاً... إنه صراخ النفير يضج في سماء العراق! إنه صراخ العبـاس بن عبـد المطلب يهتـف بالنـاس، وقـد تشـتتوا في الأوديـة والشـعاب وتحت الشجر في أرض حُنين مبتعدين عن رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وآله وسلم.

يا نفس: هذا رسول الله صلى الله عليـه وآلـه وسـلم على القصواء يقابل الجيوش وحـده، منطلقًـا نحوهـا يصـيح: (أنـا النـبي لا كـذب أنـا ابن عبـد المطلب)[2]، معرِّفًـا العـدو بنفسه، لا تثنيه الرماح ولا الحراب ولا الجموع كلها، وقلة من أصحابه رضي الله عنهم يمسكون ناقته خوفًـا عليـه وحمايـة وفداءً.

فعن عليٍّ رضي الله عنه، قال: لقد رأيتُنا يوم بدر، ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أقربنا إلى العدوِّ، وكان من أشَدِّ النَّاس يومئذ بأسًا.

- وفي رواية: لمَّا حضر البأسُ يوم بدر، اتَّقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من أشدِّ الناس ما كان، أو لم يكن أحدٌ أقرب إلى المشركين منه.

- وفي رواية: كُنَّا إذا احمرَّ البأسُ، ولقي القومُ القـومَ، اتَّقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فما يكون منَّا أحـدٌ أدنى إلى القوم منه[3].

قـال الـبراء: كنا والله إذا احمر البـأس نتقي به، وإنَّ الشـجاع منا للـذي يحـاذى به، يعـني النـبي صـلى الله عليه وسلم[4].

العباس يسارع يصيح في الـوادي بـأعلى مـا وهبـه اللـه من صوت، يناديهم بشـرف القـرآن الـذي صـحبوه، يـذكرهم

---

[1] من قصيدة "يا حابس الفيل" لمروان كجك، مجلة البيان، العدد (35) ص (43).
[2] أخرجه البخـاري (2864)، ومسـلم (4638)، وأحمد 4/280، والترمـذي (1688)، والنسائي في "الكبرى" (8584).
[3] أخرجه أحمد 1/86، والنسائي في "الكبرى" (8585). وصححه شعيب.
[4] أخرجه مسلم (1776).

بالعهود التي قطعوها (يا أصحاب الشجرة، يا أصحاب سـورة البقرة).

كلماتك يا عباس قـد خلعت القلـوب، فنسـيت أنفسـها، وتذكرت رسول الله صلى الله عليـه وآلـه وسـلم، والكتـاب، والإسلام، والعهود، والشـجرة، فكـانت صـولة أذهلت الرجـل عن نفسه، وأذهلت الراكب عن فرسه، وأذهلت الرجـال عن الرمـاح والحـراب الكثيفـة الـتي كأنهـا شـعاع الشـمس في وجوههـا، لقـد كـانت صـورة محـيرة للفـداء، قـال العبَّاس: شَـهِدتُ مع رسـول اللَّه صـلى الله عليه وسـلم يـوم حُنَين، فلزِمتُ أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبـد المطَّلب رسـول اللَّه صلى الله عليه وسـلم، فلم نفارقه، ورسـول اللَّه صـلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نُفاثة الجُـذامِيُّ، فلمَّا التقى المسـلمون والكفـار ولَّى المسـلمون مـدبرين، فطفق رسـول اللَّه صـلى الله عليه وسـلم يـركض بغلته قِبل الكفار، قـال عبـاس: وأنا آخـذٌ بلجـام بغلَة رسـول اللَّه صـلى الله عليه وسـلم أكُفُّها إرادة أن لا تسـرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم، فقـال رسول اللَّه صـلى الله عليه وسـلم: أيْ عبـاسُ نـاد أصـحاب السَّـمُرَة. فقـال عَبَّاسٌ -وكـان رجلاً صـيِّتًا- فقُلتُ بـأعلى صوتِي: أين أصـحاب السَّـمُرة؟ قـال: فواللَّهِ لكـأنَّ عَطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها. فقالوا يا لبَّيكَ، يا لبيَّك. قال: فاقتتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار. قال: ثُمَّ قُصِرَت الـدَّعوةُ على بني الحـارث بن الخـزرج، فقـالوا: يا بني الحـارث بن الخزرج، يا بني الحارث بن الخزرج. فنظر رسول اللَّه صـلى الله عليه وسـلم وهو على بغلته كالمُتطـاول عليها إلى قتالهم، فقـال رسـول اللَّه صـلى الله عليه وسـلم هـذا حين حمي الـوطيس. قـال: ثُمَّ أخذ رسـول اللَّه صـلى الله عليه وسلم حصياتٍ فـرمى بِهِنَّ وجـوه الكفـار. ثمَّ قـال: انهزمُـوا وربِّ محمد. قال: فذهبتُ أنظر، فإذا القتـال على هيئته فيما

أرى. قــال: فواللَّهِ ما هو إلا أن رمــاهم بِحصــياتِهِ، فما زلتُ أرى حدَّهم كليلاً وأمرهُم مدبرًا[1].

يا نفس: أغرَّتْكِ مظاهرُ المنافقين؟ أغرَّتْـك أشـكالهم، ومــدخلهم، ومخــرجهم، وعطــورهم، ومــراكبهم، وبيــوتهم، ومـداخيلهم اليوميـة والشـهرية السـخية، وتغـير أحـوالهم، وانتعاشهم، وانتفاشهم، أما سمعتِ ما يقـول اللـه فيهم وفي أتباعهم: چ[illegible]چ (المنافقون: ٤).

يــا نفس: تتمــنين ذلــك العيش؟! أمــا نظــرتِ إلى انقلابهم على أدبارهم، وارتدادهم عن دينهم، ونقضهم عهــودَ الله تعالى...؟

دعي ظاهرَهم، وسلِيهم عن الخزي الـذي يُجلِّلهم، وعن الهوان الذي يركبهم!

سليهم بأيِّ شيء تُحدِّثهم أنفسُهُم في لحظات الصدق!

سليهم أيُّ شيء يشرِّفهم: ماضـيهم الجهـادي المشـرق أم حاضرهم النفاقي المخزي!

سليهم بالله عن حديث النفس اللوامة عند المنام وعند المهام وعند الهيام!

ســليهم أيُّ صــفحات ســود ســيفتحونها لأبنــائهم من سجلاتهم!

سليهم عن أمنياتهم في آخر حياتهم!

نفخوك يا طبلاً بحكم تافهٍ	فغدوت مشدوهًا ورحت
هذا-لعمركم- الصغار بعينه	مصفَّرًا
والمرء يعلو بالهدى فإذا	حتى الحياء بمقلتيه تحجرا
هو	عاش الحياة مطبلاً
قَلَب المبادىء طامسين	ومزمرا
ضياءها	كم دنست عرضًا وجرَّت
قلبوا الحقائق منكرين	منكرا
عقولهم	حاشا الحقيقة أن تغيب

[1] أخرجه مسلم (4635)، والحميدي (459)، وأحمد 1/207، والنسائي في "الكبرى" (8593).

لكن ستلعن فعلكم أجيالكم | أوتقبرا
يا ويح من باع المبادىء واشترى[2]

قـولي لهم: مـاذا سـيروي أبنـاؤكم عنكم للأجيـال؟ كـلُّ عميــل وصــمةُ عــار في جــبين عشــيرته، لا تطهرهــا إلا يــد العشـيرة، فلـو تم تطهـير هـذا العـار على يـد عشـيرةٍ غـير عشيرته أو أهلٍ غير أهله، أو رجال غير رجاله للتصـقت تلـك الوصــمة بالعشــيرة إلى الأبــد ولــزمت الأخ والأخت والبنت والولد.

أيتها النفس: أراكِ تخافين على العيـال من بعـدك الضَّياع، وعلى المالِ التلفَ، وعلى الأملاكِ المصـادرةَ، وعلى الشبابِ الـذهابَ، وعلى الـدنيا ومألوفِها ومجالسِـها وصـحبِها وأنسِها ولذائذِها العطبَ؟!

إيهٍ أيتها النفس لقد صدق الله تعالى: ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞﭼ(التوبة: ٣٨).

أتريدين المحافظة على كل هذا وترجين بعده الإيمان؟!

أتريدين أن تجمعي بين المتاعين؟

أتريدين أن تجمعي بين مرضاة الله ومرضاة الصــليبيين والمنافقين؟!

أتريدين أن تجمعي بين القعود وبين الشهادة؟

فبالله عليكِ إن لم تكن سـورة التوبة نـزلت فيـكِ وفي أمثالكِ ففي من نزلت؟ ألم تسمعي قـول الله تعـالى: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻﭼ(التوبة: ٤٢). وقوله تعالى: ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛﭼ (التوبة: 57).

ألم يعلم الله تعالى بهذا البلاء الصعب؟

---

[2] من قصيدة "قالوا: السلام" لسليمان محمدي، مجلة البيان، عدد (143) ص (60).

ألم يكن للأولين أبنـــاء وأمـــوال وبيـــوت وأعـــراض ومألوفات في الحياة؟

يا للخزي: رسولُ الله صلى الله عليـه وآلـه وسـلم في الصحراء الهاجرة والشمس المحرقـة، قاصـدًا قتـال الـروم، وأبو خيثمة في بستانه، وعنـده المـاء البـارد وحولـه زوجتـاه وعياله... لا والله! لا تغرب الشمس على المدينة وأنـا فيهـا، بل واللـه لا أقعـد على حصـيري لحظـة، إنمـا مقعـدي ظهـر ناقتي، جهِّزوني جهِّزوني.

وانطلــق أبــو خيثمــة يسـابق الغـروب، ويسـبق الـريح الهبوب، وما سكن حتى رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وصدَّقه في عذره، فرضي عنه، وعفا عنه، ودعـا لـه؛ لتبقى هذه السُّنة لكل من عاد صادقًا.

يا للتأخير وصائح الجنة في الميـدان يصـيح! يـا للإبطـاء عن الجنة حتى آكـل هـذه التمـرات الفانيـة... تمـراتُ الجنـة أطيب، فرسول الله صلى الله عليـه وآلـه وسـلم ينـادي في بدر: (قوموا إلى جنة عرضها السـموات والأرض[1]). إذًا هـذا واللــه ليس عمــير بن الحمــام إن تــأخر عن الجنــة لحظــة! عظُمت كلماتُــك يــا رســول اللــه في نفس عمــير- وإنهــا لعظيمة-: (قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض).

قــال عنــدها عمــير: بخٍ بخٍ، لئن أنا حَيِيتُ حــتى آكُــلَ تمــراتي هــذه إنَّها لحيــاة طويلــة، فـرمى بما كـان معه من التمر ثمَّ قاتلهم حتى قُتِلَ، رحمه اللَّه[2].

ما للنفوس تغيرت؟! ما للعهود تبـدلت؟! مـا للشـجاعة انكمشت؟! ما للأسود تدجنت؟! ما للجمال استنوقت؟!

لا لن يرضى أصحاب رسول الله صلى اللــه عليــه وآلــه وسلم بأيِّ تغير: الموت هو ما نطلبه، وماذا أكثر من الموت.

مالكَ يا ثابت تُنكر هذه البطولات في معركة اليمامة، لا ليست هذه الطريقة التي ربانا عليها رسول اللــه صـلى اللــه عليـه وآلـه وسـلم، ليس هـذا هـو طلب المـوت بحـق، فعن

---

[1] أخرجه مسلم (4950)، وأحمد 3/136، وعبد بن حميد (1272)، وأبو داود (2618).

[2] أخرجه مسلم (4950)، وأحمد 3/136.

موسى ابن أنس، قـال: وذكر يـوم اليمامـة، قـال: أتى أنسٌ ثابتَ بنَ قيس، وقد حسر عن فخذيـه، وهو يَتَحَنَّطُ، فقـال: يا عمِّ، ما يحبسك أن لا تجيء؟ قـــال: الآن يا ابن أخي، وجعل يتحنَّطُ، يعني من الحنوطِ، ثمَّ جاء فجلس، فذكر في الحديث انكشافًا من الناس، فقـال: هكـذا عن وجوهنا حـتى نضـارب القــوم، ما هكــذا كنَّا نفعل مع رســول الله صــلى الله عليه وسلم، بِئس ما عوَّدتُم أقرانَكم[1].

ماكـــان الأب يـــذهب للقتـــال والشـــباب قاعـــدون في البيوت، وما كان الأب يقعد ويترك الشباب يذهبون.

أيُّ معرة بالقعود، بل أيُّ إبطاء عن الجنة هذا؟

هذا عمر وأخوه زيد بن الخطاب رضـي اللـه عنهمـا في بـدر يختلفـان، كـلٌّ واحـد يُقسـم باللـه على أخيـه أن يقاتـل بالدرع الوحيد لديهما، ويبقى الآخر يقاتل حاسرًا بغير درع؟

عليٌّ رضي الله عنه لا يطيـق البقـاء في المدينـة، وقـد خرج جيش العسرة وفارق المدينة، لا يطيق... مع أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي استخلفه، فلا البقـاء مع ابنةِ رسول الله صلى الله عليـه وآلـه وسـلم يرضـيه، ولا تربية الحسن والحسين يعزيه، فيخرج مسرعًا يلحق برسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيقول لـه: (يـا رسـول اللـه تخلِّفني في النساء والصبيان).

الله أكبر: أيُّ عيب هذا؟ رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وآله وسلم هو الذي أذن لك، هو الذي أمـرك؟! لا، فـالتخلف في عرفهم معرة.

وما أطفأ نـار اشـتياقه لمصـاولة أعـداء اللـه إلا مقولـة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لـه: (أمـا ترضـى أن تكـون مني بمنـزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي)[2].

رجع عليٌّ رضي الله عنه إلى المدينة كمـا رجـع هـارون عليه السلام، لكنَّ رسول الله صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم

---

[1] أخرجه البخاري (2845).

[2] أخرجه البخـاري (4416)، ومسـلم (6297)، وأحمد 1/182، والترمـذي (3724)، والنسائي في "الكبرى" (8085)، وابن ماجه (115).

ذهب إلى ربه حين ذهب إلى الجهاد كما ذهب موسى عليه السلام للقاء ربه سبحانه.

هذا هو جواب أولئك الرجال، وهو جواب كل من دخل في النداء (يا أيها الذين آمنوا)، بل والله هو دواؤهم.

الله أكبر في الجهاد دواؤنا ... في يوم عشناها تملكنا الورى
الله أكبر صيحة علوية ... دانت لها فرس وهدت قيصرا
الله أكبر يا جبال فرددي ... هذا النشيد وأسمعيه الأعصرا
الله أكبر بالجهاد حياتنا ... ودم الشهادة خير ريحٍ عنبرا
والروح إن حنت لمقدم ربها ... تجد الشهادة مغنمًا بل أكبرا

أيتها النفس: كثيرًا ما تحدثينني بذهاب وقت الجهاد اليوم، وتقولين: طار بالنصر الصليبيون، وذهب بالبلاد المجوس، وإنَّ الحكمة تقتضي المهادنة والمفاوضة، والتغيير من الداخل، وتقولين لي: الجهاد اليوم جهاد النفوس والأُسَر، الجهاد جهاد المناهج التربوية! انظر: كيف حبسوا أنفاس المجاهدين؟ فالشوارع محروسة، والعيون مفتوحة، وفي كل مكان مدسوسة، أما ترى قلة العمليات... كن واقعيًّا، وانظر إلى المستقبل، فأبناء الماضي في القبور، وأبناء الحاضر في الدور، وأبناء المستقبل في القصور؟!

قولي ما شئتِ أيتها النفس، وافرضي ما شئت، ولكن جوابي على كلِّ ما ذكرتِ هو: نَعَم، المنافقون كُثُر. نعم، السدود موجودة. نعم، الأموال شحيحة. نعم، ونعم، ونعم..وألف نعمٍ، **ولكن أين الله...؟ أين اللـه...؟** ڇ ڇ ڃ ڇ ڇ ڃ ڃ ڇ ڇڇ(الأنعام: ٩١).

أين الله القائل: ڇ ڇ ڃ ڃ ڇ ڇ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎڇ(المائدة: ٥٢).

أين الله القائل: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙﭼ (آل عمران: ١٢٦).

أين الله القائل: ﭽﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ (البقرة: ٢٤٩).

أين الله القائل: ﭽ ﮨ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﭼ (آل عمران).

أين الله القائل: ﭽﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙﭼ (المنافقون: ٨).

أين الله القائل: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ (البقرة).

أين الله القائل: ﭽﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﭼ (الأحزاب: ٢٧).

أين الله القائل: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤﭼ (النساء: ٨٤).

أين الله القائل: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡﭼ (الشعراء).

أين الله القائل: ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ (الدخان).

رضي الله عن عمر: يرى بعينيه مِن ها هنـا قـريبَ ربـعِ أصحاب رسول الله صلى الله عليه آله وسلم قتلى في ساحِ أحد، ويرى الجراح قد أثخنت الأحياء، فما من رجل إلا نزفت جراحُه، بما فيهم المصـطفى صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم- فداه أبي وأمي-، ويرى الكفر قد انتشـى وانتفخ، ومن هنـاك يسمع صوتَ أبي سفيان يرتفع باسـتعلاء، ويـتردد صـداه بين الجبال: أعلُ هبل، أعـلُ هبـل. نسـي عمـر القتلى والجـراح، ولم يطق صبرًا، فأجـاب رضـي اللـه عنـه، فقـد روى الـبراء

رضي الله عنه:... فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد؟ ثلاث مرات، فنهـاهم النَّبيُّ صـلى الله عليه وسـلم أن يُجيبـوه، ثمَّ قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاث مـرَّات، ثمَّ قـال: أفي القــوم ابن الخطــاب؟ ثلاث مــرات، ثمّ رجع إلى أصــحابه، فقـال: أمَّا هـؤلاء فقد قتلـوا، فما ملك عمـرُ نفسَـه، فقـال: كذبتَ، واللهِ، يا عدوَّ الله، إنَّ الذين عددتَ لأحيـاء كلهم، وقد بقي لك ما يسوؤك، قال أبو سفيان: يومٌ بيوم بدرٍ، والحـرب سـجال، إنكم سـتجدون في القــوم مُثلَــةً، لم آمر بها ولم تسؤني، ثمَّ أخذ يرتجز: أعلُ هُبَل، أعلُ هُبَل. قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسـلم: ألا تجيبـوا لــه؟ قـالوا: يا رسـول اللــه، ما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلى وأجلُّ. قـال: إنَّ لنا العـزَّى ولا عُزَّى لكم. فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: ألا تُجيبوا لــه؟ قالوا: يا رسول اللـه، ما نقـول؟ قـال: قولـوا: الله مولانا ولا مولى لكم [1].

الشوارع محروسة؟! هنا يكــون اليقين، **هنا يتمـيز المؤمنون المتوكلون المفوِّضون أمرهم لربهم،** هنـا يخرج العبد من بيته والله يرقب غـدُوَّه وهـو السـميع العليم: ﭽ ﯿ ﯾ ﯽ ﯼ ﯻ ﯺ ﯹ ﯸ ﭼ(آل عمرآن: 121). يغدو وأمامه السدود والموانع، وليس عنده من مُعين إلا الله وبين عينيه ﭽﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ(يس: ٩). يغدو وأمامه قوله تعالى: ﭽ ﯈ ﯉ ﯊ ﯋ ﯌ ﭼ(طه : 46). يغدو وعينُه على صيده، وقلبه ذاهبٌ لربه، وريح الجنـة عبق جوانحه، ونفذ إلى شراايينه.

هنا خرج الزبير رضي الله عنه في أصعب من حالنا عند اليرموك حين رأى اصطفاف الروم للقتال، والنـاس لا يـرون لصفوف الروم انتهاء، فيقرِّر الزبير قراره، ويبدأ برحلة يــرى كلُّ من رآه أنه ميت ميت لا محالة، فيخـترق صـفوفَ العـدو من أولهم إلى آخرهم طعنًا وضربًا حتى إذا شقَّ الجيش عـاد ثانية إلى حيث ابتدأ، تبللت ثيابـه دمًـا، ومـا ازدادت همتـه إلا

---

1 [?] أخرجه البخاري (3039)، وأحمد 4/293، وأبو داود(2662)، والنسائي في "الكبرى" (8581).

غيرة لله ونقمة على أعدائه، تناوشته الأسلحة، وطُعن، وما مات لكنه أحيا همة جيش بأكمله، وجرَّأهم على عدوهم، وأوهن بفعلته هممَ الروم. قال هشام بن عروة عن أبيه: إنَّ أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا للزبير يوم اليرموك: ألا تشد فنشد معك؟ فقال: إني إن شددت كذبتم[1]. فقالوا: لا نفعل. فحمل عليهم حتى شقَّ صفوفهم، فجاوزهم وما معه أحد ثم رجع مقبلاً، فأخذوا بلجامه [أي: لجام فرسه]، فضربوه ضربتين على عاتقه، بينهما ضربة ضربها يوم بدر. قال عروة: كنت أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير[2].

وهنالك ينفلت أسد آخر، إنه عكرمة بن أبي جهل، بموقف عديم النظير، وعنده ما يبرر فعله، فعن ثابت، أنَّ عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه **ترجَّل** يوم اليرموك، فقال له خالد بن الوليد: لا تفعل، فإنَّ قَتْلَك على المسلمين شديد. فقال: **خلِّ عني يا خالد**، فإنه قد كان لك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقة، وإني وأبي كنا من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمشى حتى قُتل[3].

قال أبو إسحاق السبيعي: نزل عكرمة يوم اليرموك، فقاتل قتالاً شديدًا ثم استشهد، فوجدوا به بضعًا وسبعين من طعنة ورمية وضربة [4].

لم يمت كالاستشهادي من أول ضربة وأول طاعن، بل بقي يضرب ويطاعن، ولا يعلم إلا اللـه أي صولة صالها عكرمة، وفتكٍ فتكه في الروم، وما ذهب عكرمة حتى ترك صحيفة ناطقة على صبره وبلائه وفعله في الروم، تلك هي: بضعًا وسبعين طعنة ورمية وضربة في معركة واحدة!

الشوارع محروسة ؟! والعيون مدسوسة؟!

---

[1] كذبتم: خلفتم ولم تشدُّوا معي.

[2] أخرجه البخاري (3765).

[3] أخرجه ابن المبارك في "الجهاد" (54)، والبيهقي (17699)، وعزاه في "كنز العمال" إلى ابن عساكر.

[4] سير أعلام النبلاء 1/324.

فلتكن، وإلا فماذا تريدين أيتها النفس؟ **لعلكِ تريدينها شهادة من غير مجازفة بالروح**، وصاحبُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن رواحة يقسم قسمًا لا رجعة فيه حين حدثته نفسه بقليل من التأخر، فقال:

أقسمت يا نفسي لتنـزلنه
طائعةً أوْ لتكرهنه
ما لي أراك تكرهين الجنة
إن أجلب الناس وشدوا الرنه
لطالما قدْ كنتِ مطمئنة
هل أنت إلا نطفة في شنه.

ثم نزل فقاتل حتى قُتل[1].

لعلك تخافين- أيتها النفس- أن يُهزم الإسلام بموتكِ، وما كان من أحدٍ أقرب للعدو من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، **والفاروق هو الخليفة يَعزم على الخروج مع جيوش الفتح لولا رجاء كبار الصحابة رضي الله عنهم له.**

فمن أكون أنا وأنت؟

تقولين أيتها النفس: الجهاد جهاد الأُسَر؟!

أيُّ صلاح لأسرةٍ الجبانُ ربُّها؟! أيُّ فخر لأبناءٍ وزوجةٍ يرون أباهم دجاجة ونعجة، ينفر من صفير الصافر، أبناؤك يرون غيرَك من الآباء يهبُّون للجهاد، **ويرونك تلوذ بأمهم**؟ لا همَّ لك إلا أن تجعلهم يأكلون ويتمتعون ويستدفئون ويشخرون... وغيرُك في سوح الوغى يُجرحون ويَستشهدون؟

أيطمع الشيطان بصدٍّ عن سبيل الجهاد في نفوس المخلصين أخبث من أن يصرفهم إلى إصلاح النفس والأسر والمجتمع ونحو ذلك؟ ويروي لهم حديثًا مكذوبًا على رسول

---

[1] (?) أخرجه البيهقي (18254)، وأبو نعيم 1/120. وعزاه الهيثمي في "المجمع" للطبراني، وقال: رجاله ثقات.

الله صلى الله عليه وآلـه وسـلم (رجعنـا من الجهـاد الأصـغر إلى الجهاد الأكبر)[1]!

أيطمع الشيطان أن يُدخل اليـأس على نفوسـهم إلا أن يقول لهم: قد ذهب الوقت وأصبح الجهاد في خبر كان؟ ومـا هي والله إلا وراثة المنافقين السابقين الذين قال الله عنهم: ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨﭼ (آل عمران: ١٦٧).

أيتها النفس: ماذا لو أصـغى لحـديثكِ هـذا كـلُّ واحـد من المجاهــدين ممن حدثتــه نفسُــه نفسَ الحــديث، أكــان للجهاد اليوم وجود؟

ماذا لو أصغت لهذا الحديث الشعوبُ المحتلـة من قبـلُ ومن بعدُ، هل تحرر شعب وهُزم الطغيان والعدوان؟

أليس هذا في الحقيقة نفس حديث العـدو؟ نفس إلقـاء الشيطان! نفس نَغَمِ النفاق السابق!

أيتها النفس: أغرَّكِ ظهورُ هـؤلاء وتقلبهم في بلـدك، أغــرَك تقلب المنــافقين أعضــاءً في برلمــان أو وزراء في حكومة مرتدة.

تذكري أنَّ علوَّ العدو هـذا غثـاء، وأنَّ اللـه جـرَّأ الأولين حين خاطبهم بقوله: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ (آل عمران: ١٩٦). وجرَّأهم أكثر حين قال وهو الضامن سبحانه: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭼ (التوبة: ١٤).

تذكري أنه ما إن تتراءى الفئتـان حـتى يفـرَّ الشـيطان سريعًا، ويقع العدو صريعًا، ويموت ألف مرة قبـل أن يمـوت موتًا ذريعًا: ﭽﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕﯖ ﯗ ﯘ ﯙﭼ (الأنفال: ٤٨).

---

[1] قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى 11/197: لا أصل له، ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلم وأفعاله، وجهاد الكفار من أعظم الأعمال.

تذكري أنَّ صدور العراقيين المؤمنين مواقد، وأنَّ اللــه قــادر على أن يُبــارك جمرهــا، ويفجِّر بركانهــا، فــإذا العــدو حطبها، وإذا جمـاجمهم وقودهـا، فتقـدمي، فلعـل اللـه يوقـد تلك المواقد بقومتك وتقـدمك ومقولتـك... فهـل من مـؤمن صـادق على هـذه الأرض إلا وهـو يهيم في الشـهادة، ويحلم بانتقام الله من العدو على يديه كيفما شاء، ويحلم بذلك بــل يطمح به؟

وتضج في قلبي المنى .. وتُحيلني ... سُحُبُ الرؤى ليثًا بهيئة طائرِ
لو أنَّ بعضًا من رؤاي تحققتْ ... وغدوتُ ممتلئًا بعزمٍ ساحرِ
لقطعتُ رأسَ خِواننا بقواطعي ... وحفرتُ قبرَ هواننا بأظافري
يا فتية الأمل الوضيءِ توحّدوا ... وتيقظوا من خائن متآمرِ
الله أكرمكم وبارك حملَكم ... علمَ الجهاد...على الطريق العاطرِ
يا للجمال...وزحف أمتنا مضى ... والحقُّ يصرُخُ: يا كتائب بادري
وصواعق التكبير فيها تمتطي ... موج الصهيل إلى اللقاء الظافرِ
ومناجل الأبطال تحصد في الوغى ... الأشواكَ...أشواكَ الضلال الداعرِ
وطلائع الصبح المنير تعيد ... لي أمجادَ أبائي...كأمسي الدابرِ
آن الأوان لكي أعيشَ مكرَّمًا ... وتفيضَ بالخير العميم بيادري
هذا الجهاد طبيبُ أمتنا التي ... مرضتْ بفعل تخاذلٍ وتناحرِ
صلَّت قوافي الشعر في محرابه ... دومًا وصامت عن سلام خاسرِ

أنا شاعر ما دمتُ تحت لوائه | فإذا نأى عني فلستُ بشاعر[1]

أيتها النفس: أراك يُحبطكِ قعـودُ رجـالٍ عن الجهـاد قد كنتِ تعـدينهم قـدوات، ويهـدُّ همتك رؤيتُك شـيوخَ علمٍ ودعوةٍ انسـحبوا من ميـدان الجهـاد إلى ميـدان التفـاوض أو إلى التجارة أو إلى الوظيفة... فتقولين: أفلا يسـعني القعـود حيث وسع هؤلاء، أهذا وقت التقدم إذ تقهقر هـؤلاء الشـيوخ الأعلام؟

إي والله انسحب شـيوخ، وقعـدت قـدوات، ولكن ليعلم الجميع أنَّ في الشيوخ رجالاً ثبتوا، تفـديهم الأرواح وهي في غاية الانشـــراح، وتـــذوب في حبهم القلـــوبُ تقرُّبًا لعلام الغيوب.

أيتها النفس: لا تتعللي بفعل فلان أو قـــول فلان أو عمل فلان، فهذا الجهـاد منذ أن شـرعه الله جعله حجة على الجميع، ولم يجعل أحدًا عليه حجة. حجة على الخطيب الذي خطب يومًا من الأيـام عن الجهـاد، حجة على العـالم الـذي علم، حجة على الغـني الـذي ملـك، حجة على المعيل ذي الأولاد، حجة على القوي الذي اقتدر، فكـأنَّ الأعمـال تُعـرض عليه فيصدقها أو يكذبها، وكأنَّ الرجـال يُعرضـون على نـاره، فيشهد لهم أو يشهد عليهم، فهو كما قال الله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ (آل عمران).

عندما يأتي القتالُ في سبيل الله يخرج النفاقُ، وتتبعـثر أغطيتُـه الشـرعية، ويظهـر المـدعون من فلتـات ألسـنتهم وأصوات أنفاسهم وحركة عيونهم.

يقول سبحانه: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ

[1] من قصـيدة "نفق السـلام" لفيصل بن محمد الحجي، مجلة البيـان، العـدد (108) ص (51).

ﭭ ﭮ ﭯ ﭰﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ
(محمد).

سيعود المنافقون إلى المزايدة على صدقهم المرة تلو الأخرى، وخصوصًا بعد ذهاب غزوة أو سرية أو صولة، فما هو إلا أمر واحد، ويتحدد المؤمن من المنافق، ويُكشف المستور ويَعرف كلُّ إنسان نفسه، ذلك الأمر هو: ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ.

يقول جل في علاه: ﭽ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ (آل عمران).

قولوا ما شئتم... اخطبوا كيف شئتم... صرحوا بما شئتم... فختم الصدق أو الكذب **في الميدان**.

قال تعالى: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ (الصف).

وقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ (البقرة: ٢٤٦).

أيتهــا النفس: لا تقــولي فلان تخلَّف، وفلان تــرك، وفلان وفلان وفلان... هــؤلاء يُحــاكمون للجهــاد، ولا يحــاكم الجهاد إليهم.

أيتها النفس المتعللة باشتداد الحال، وصعوبة الأمــر: بالله عليك متى يحلو الثبات أكثر من وقت تحمرُّ فيه الحدق، وتــزول أقــدام الأبطــال عن مواضــعها، وتزلــزل الجبــال عن مواقعهــا، هنــاك يجــدها المــؤمن فرصــة؛ **ليتميز في عين ربه سبحانه** فيهتف: يا رب اشهد أني لســت من هــؤلاء ولا هــؤلاء. يــا رب قــد طــار قلــبي إليــك اشــتياقًا، يــا رب فعجِّل باللقاء، واشوقاه لمحمد صلى الله عليه وآله وســلم وحزبــه، واشوقاه لوجه ربي الأعلى.

فعن سيار بن مالك، قال : سمعت مالك بن دينار قال : لما كان يـوم الزاوية[1] قـال عبد الله بن غـالب : إني لأرى أمـرًا مـالي عليه صـبر، روحـوا بنا إلى الجنـة، قـال : فكَسر جفن سيفه، وتقدم فقاتل حتى قتـل، قـال : وكـان يوجد من قبره ريح المسك، قال مالك : فانطلقتُ إلى قـبره، فأخـذت منه ترابًا فشممته، فوجدتُ منه ريح المسك[2].

أيتهـا النفس: إذا أردتِ القعـود فاقعـدي، وانتظـري حســابك، **ولكن إيــاك أن تصــبغي قعــودك صــبغةً شرعية، إياك أن تبرري لقعودك بتـبريرات نفاقيـة، إياك أن تعوِّقي غيرك عن الجهـاد في سـبيل اللـه، إياك أن تلمزي مجاهدًا تبريرًا لقعودك!**

أيها القاعـدون: إنكم إن فعلتم ذلـك، فـاعلموا أنكم بارزتم الله في الحرب؛ لأنكم وقفتم ضد أمـر الله! الله يقول: ﭽ ﭼ. وأنتم تقولون: "اقعـدوا"! الله يقول: ﭽ ﭼ.وأنتم تقولون: "فاوضوهم"! اللــه يقول: ﭽ ﭼ. وأنتم تقولون: "اتركوا جهادكم"! الله يقول: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ. وأنتم تُبغِّضون الناس فيما يحب الله، وتشــقون صفًّا يحبه الله! الله يقول: ﭽ ﭼ. وأنتم تقولون: "اخشوهم".

إنه النفاق عصريًّا كان أم قديمًا.

فلا أدري إن لم تكونوا أنتم ممن قال الله فيهم: ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ. فممن تكونون إذن؟ وإن لم تكونوا ممن قال الله فيهم: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ. فممن تكونون إذن؟!

كم حدثتني النفس قائلة: يا هذا إنـكَ ضـعيف، وإن ظهر للبعض أنك قوي!

---

[1] معركة الزاوية كانت في محرم سنة اثنتين وثمـانين، وهي من معـارك عبد الـرحمن بن الأشعث. تاريخ خليفة بن خياط 281، 282، 286.

[2] أخرجه البيهقي في "الشعب"، وأبو نعيم في "الحلية" 2/258.

إنـك لا تقـوى على الأسْـر وشـدائده، والحبس وعذابـه، والتحقيــق وكهربائــه... لا تقــوى على التقطيــع والتكســير والتهشيم...

حافظ على دينك الذي أنت عليه خير لك من أن تمـوت مفتونًا عن دينك، أو تضعف فتُخْبِر عن صحبك فيذهب بسببك الكثير!

أيتهـا النفس المتعلقــة بالــدنيا، المتعللــة بمــبررات شرعية في ظاهرها، نفاقية في باطنها: ما الفرق بينـكِ وبين الـذين تركـوا الجهـاد أول مـرة معتـذرين بخـوف الفتنـة عن الدين كما قال سبحانه: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ (التوبة: ٤٩).

هذا خاف فتنةَ النساء كما في الآية فـأحجم واعتـذر عن الجهاد، وذاك خاف فتنةَ المال والدنيا فاعتـذر، وثـالثٌ خـاف فتنة الأسْر فاعتذر، كل واحد اعتذر عن عدم خروجه لخــوف الفتنــة، **ومــا علم هــؤلاء أنَّهم ســقطوا في الفتنــة، وهي ترك الجهاد،** ولذا قال الله تعالى ردًّا مباشرًا وجوابًا ظاهرًا على مقولتهم ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ، قال سبحانه بعدها مباشرة: ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ.

أيتهـا النفس: قــولي لي- باللــه عليــك- أيُّ رجــل وُفِّق للصبر من غير أن يُصبِّره اللـه حـتى النـبي صـلى اللـه عليـه وآله وسلم، ألم يقل الله له: ﭽ   ﭼ؟

أتدرين كم يفيض اللـه تعـالى من السـكينة والطمأنينـة على ذاك الأسير المُبتلى؟

واللــه مــا رأينــا خارجًــا من حبســه إلا وجــدناه يتذكر أيام اللذة الإيمانية، أيام المدرسة اليوسفية، بلوعة وإعزاز، أيامًا ما وجد لهـا نظـيرًا في حياتـه! وما وجدنا واحدًا إلا وهو يرجو بها يوم القيامــة مــا لا يرجوه في حياته كلها.

أتــدري مــاذا يصــنع القــرآن هنــاك بتلــك النفــوس المحبوسة؟

أتدري أي سكينة يُنــزل اللـه عليهـا، أي حلاوة تتـذوقها، أي ليل تعيشه مع ربها؟

أيتها النفس: لو كان هـذا عـذر شـرعي مقبـول عنـد الله لما أقدم أحد على الجهاد؛ لأنَّ كل واحد معرَّض للأسْــرِ، ورب العالمين يقول: ﭽ ﭗ ﭘ ﭼ. فأين حساب الأسْرِ؟

ما أحسَب اللهَ يُخرجُك من بيتـك- لا تريـد إلا وجهَـه- ثم يتركك إذا أسرك العدو يضيع إيمانك، وهو القائل عن نفســه: ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔﮕ ﭼ. وما كان الله ليضيع صلاتكم، وما كان الله ليضيع جهادكم.

أيتها النفس: كم من رجـل مـا اكتشـف معدنـه ومـا عرف خصائصه الفريدة إلا في ذلك المختـبر، مختـبر الحبس والتعذيب، وما عرف لطف الله حقًّا كأنه العيان إلا هناك.

وكم من رجـل كـان اللـه ينجيـه في كـل مـرة حـتى إذا أوشك العدو على إدراكه أدركه اللـه تعـالى برحمتـه واتخـذه شــهيدًا في ســبيله، فجمـع لـه من الخـيرات مـا لا يعـد ولا يحصى.

أيتها النفس أراك تقـــــــولين: أبحث عن عمل مشــروع هنا وهنــاك بــديلاً عن الجهــاد، لعل الله يعــذرنا أو نــدرك درجة المجاهــدين ولن تكــون من القاعــدين؟! خِبْتُ والله وخســرت إن حــرت بعــدما كــررت، وعــدت من حيث خـرجت، ورضـيت من الغنيمة بالإيـاب، ورضـيت من الجهـاد بالعيــال والمــال، ورضــيت من الرفعة بــالخلود إلى الأرض، ورضيت من حال الرجال بالقعود مع القاعدين، ورضـيت من الحيـاة بـالعلف وعيش البهـائم، ورضـيت من المـوت بمـوت الفـراش أو الـبيوت أو المستشـفيات أو حـوادث الشــوارع، ورضـــيت من القيـــادة بـــالمجوس، ورضـــيت من الشـــرائع بدساتير الردة.

أيُّ شيء في ميزان الله يساوي بارقة السيوف؟

أيُّ عين تساوي العين الحارسة في سبيل الله؟

أيُّ رِجلٍ تساوي الرجل المغبرَّة في سبيل الله؟

أيُّ يدٍ تساوي اليد الباطشة لله؟
أيُّ أنف يســاوي الأنف المستنشق الغبــار في ســبيل الله؟
أيُّ ساعة تسـاوي سـاعة يقـول فيها رسـول الله صـلى الله عليه وآله وسلم: (موقف ساعة في سبيل الله خـير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود)[1]؟
أيُّ قطرة تنـزل على الأرض أغلى عند الله من قطرة دم تهراق في سبيله؟
أيُّ دابة أفضل من دابة يقسم الله بها وبحركاتها وبآثارها في كتابه: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ؟
من ذا الذي يقارن عملاً من الأعمال الصـالحة بالجهـاد، كل عمل بعـد التخلـف عن الجهـاد من غـير عـذرٍ يـدخل في دائرة القعود، حتى لـو كـان تفرغًـا للعبـادة، فكيـف والجهـاد فرض عين علينا، فعن أبي هريرة رضي الله عنـه قـال : مـرَّ رجل من أصـحاب رسـول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم بشعب فيه عُيينة من ماء عذبـة، فقـال : لو اعـتزلتُ النـاس فـأقمتُ في هـذا الشـعب؟ ولن أفعل حـتى أسـتأذن رسـول الله صــلى الله عليه وآله وســلم، فــذكر ذلك لرســول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم، فقـال: (لا تفعـل، فـإنَّ مقـام أحــدكم في ســبيل الله أفضل من صــلاته في بيته ســبعين عامًا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة؟ اغزوا في سـبيل اللــه، من قاتل في سـبيل الله فـواق ناقة وجبت له الجنـة)[2]. "فُـواق ناقـة" بضم الفـاء وتخفيف الـواو وآخـره قــاف، قــال الجــوهري[3] وغــيره: هو ما بين الحلبــتين من الوقت؛ لأنها تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتـدر ثم

---

[1] أخرجه ابن حبـان (4603)، والـبيهقي في "الشـعب" 4/40، والـديلمي 4/186، وابن عساكر في "أربعين الجهاد" (الحديث 18). وصححه الألباني وشعيب.
[2] أخرجه أحمد 2/446، والترمـذي (1650)، وقـال: حـديث حسـن. وحسـنه الألبـاني وشعيب.
[3] هو إسماعيل بن حماد، أبو نصر الفارابي، مات سـنة ثلاث وسـبعين وثلاث مئـة، وقيـل: في حدود الأربع مئة، بغية الوعاة 446/461-447.

تحلب، انتهى[1]. وقيل : هو ما بين أن تضع يدك على الضـرع وقت الحلب وترفعها.

قال ابن النحاس : وفي هـذا الحـديث أدلُّ دليل على ما تقدم من أنَّ الجهـاد والتصـدي له أفضل من العزلة للعبـادة، والله أعلم .

يا هذا، ليت شعري من يقـوم مقـام هـذا الصـحابي في عزلته وعبادته وطيب مطعمـه، ومع هـذا فقد قـال له النـبي صلى الله عليه وسلم: لا تفعل. وأرشـده إلى الجهـاد، فكيف لواحد منا أن يتركه مع أعمـال لا يوثق بها مع قلتهـا، وخطايا لا يُنجى معها لكثرتهـا، وجـوارح لا تـزال مطلقة فيما منعت منـه، ونفـوس جامحة إلا عما نهيت عنـه، ومآكل حُكم حلِّها عند رازقها، وخواطر علم أصلها عند خالقها، ونيات لا يتحقق إخلاصها، وتبعات لا يرجى بغير العناية خلاصـها، ثم النظر في خواتم الأعمال، مجال الخطر وعظائم الأوجال، فالسعيد من وفقه الله للجهـاد ويسَّـره عليـه، والشـقي من جَبُن فغبن وظهر الخسران عليه، اللهم يسِّـر علينا الجهـاد ويسِّـرنا لـه، واجعلنا بفضلك ممن رام أمرًا فناله، وقرنت بالتوفيق أحواله وأفعاله، إنك قريب مجيب.اهـ.[2]

أيُّ رجل كان له فضل في السنة كالإمام البخاري؟ وأيُّ قبول كتبه الله لإمام في رواية حديث نبيه ما كتبه لاسم البخاري؟ لقد أذهل الإمام البخاري وأخذ بلبه الجهادُ رغم كل ما قدَّم، قال محمد بن أبي حاتم: ورأيته- أي البخاري- استلقى على قفاه يومًا، ونحن بفِرَبْر في تصنيفه كتاب "التفسير". وأتعب نفسه ذلك اليوم في كثرة إخراج الحديث. فقلت له: إني أراك تقول: إني ما أثبت شيئًا، بغير علم قط منذ عقلت، فما الفائدة في الاستلقاء؟ قال: أتعبنا أنفسنا اليوم، وهذا ثغر من الثغور، خشيت أن يحدث حدث

[1] الصحاح 4 /1546.
[2] مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق 1/153.

من أمر العدو، فأحببت أن استريح، وآخذ أهبة، فإن غافصنا[3] العدو كان بنا حراك.

قـال: وكـان يـركب إلى الـرمي كثـيرًا، **فما أعلمـني رأيته في طول ما صـحبته أخطأ سـهمه الهـدفَ إلا مرتين، فكان يصيب الهدف في كل ذلـك، وكـان لا يسبق**[4].

لقد كانت هذه أمنية الأئمة العظـام جميعًا دون اسـتثناء وما أن جاءتهم الفرصة حتى التحقوا جنودًا في سبيل الله.

يا أهل الإسلام في العراق: العاقل لا يقـدِّم لنفسه العذر، ولكن إذا حدث له عـذر تجـاوزه ما اسـتطاع، فـإن لم يستطع بكى على نفسه؛ لفوات ذاك المشـهد عليه خوفًا أن يصـــدق عليه وهو لا يـــدري التخلف أو يكـــون من أهل قوله تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗﭼ.

يا شباب المسـاجد في العـراق: بالله عليكم مـاذا لو غُـزيت مدينــةُ رسـول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها؟!

ماذا لو دَعى رسـولُ الله صـلى الله عليه وآله وسـلم الناس للجهاد، وتخلف أناس عن ندائه؟

ماذا لو طلب من أناس الحراسةَ، ولم يخرجوا لها؟

ماذا لو طلب من رجال الأموال فبخلوا؟

ماذا لو طلب منهم تزويـده بأخبـار المشـركين، فكتمـوا وهم يعلمون؟

أليس هذا هو النفاق؟

إذًا ما الذي تغيَّر؟

اقرؤا الكتاب والسنة.

بلادنا بلاد الإسـلام محتلـة، رسـول الله صـلى الله عليه وآله وسلم ذهب، وكلنا فـداءً لـه، لكن من كـان يعبد محمـدًا فـإنَّ محمـدًا قد مـات، ومن كـان يعبد الله فـإنَّ الله حي لا

---

[3] أي: فاجأنا العدو، وأخذنا على غرة منا. (لسان العرب، مادة غفص).

[4] سير أعلام النبلاء 12/444.

يموت، وأمرُ رسـول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم قـائم، وكتاب الله لم يتغير.

ما الذي جعل حكم النفاق يصدق على الذين في عهده، ولا يمسنا؟

الله أكبر: كم من رجل مكتـوب عند الله من المنـافقين وهو يأكل بدينه، ويُحسب على أهل الإيمان.

يا رجـال الإسـلام في العـراق: هل يُشـترط للخـروج للجهاد حضورُ رسولِ الله صلى اللهِّ عليه وآله وسلم؟

هل يُشـترط لكي يصـبح المتخلِّف بغـير عـذر منافقًا أن تنـزل باسمه وكنيته أو باسمه الثلاثي آية؟ هل تريـدون قرآنًا جديدًا؟

أيتها النفس: اغمسي روحك في ســــــــورة التوبة والأحــزاب وسـورة محمـد، واعرضي عملك على حكم الله في كتابه وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في سنته فلعلها تكتشف حقيقتهـا، لعل النفـاق أصـابها حـتى النخـاع، والسبب هو هذا الجهاد.

يا إخوتـاه: هل غـرَّكم أنَّ هـؤلاء المرتـدين وقَّعـوا على الاتفاقية الأمنية؟

وليوقعـوا ما شـاؤوا، وليكتبـوا ما شـاؤوا، ولينشـروا ما شاؤوا، وليفرحـوا، فـذلك كله هبـاء في هـراء في فضـاء في هواء.

ما قيمة ذلك إذا حلَّ السيف بدل القلم وحلَّ النطع بدل الورق؟!

حَمْلةٌ واحدة باسـم اللـه يفـور لهـا التنـور وإذا بـالأوراق والأقلام والأصـابع الـتي وقعت وأصـحابها يسـتعر بهم تنـور الانتقام لله.

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

كم وقَّع المحتلــون من قبلهم أوراقًا وأوراقًــا، فرحلــوا ورحلَتْ أوراقهم مع رحيلهم، وما بقي منها إلا اللعنة والخزي الذي يتابع مَن وقَّع ومَن حضر مِن وزراء وأعضاء برلمان؟

قبل أشـــهر من رحيل الأمريكـــان عن فيتنـــام وقَّعت أمريكا معهم اتفاقيـــة، لكن جـــاءت عاصـــفة الهزيمـــة، وما اعـــترف الفيتنـــاميون بما وقَّع الخونة واعتبروها وصـــمة، وكسبوا الحرية.

أما البلاد التي وقَّعت على الاتفاقيـات، وخـرجت أمريكا من بلادهم بغير حـرب، فلا زالـوا يـدفعون لليهـود، ويُمنعـون من أنـواع من التصـنيع، ويـدخلون في قيـود، هـذا وهم دول كبرى من قبل، فما بالك بالعراق؟

أغـرَّكم قـوم سُـموا حكومة عراقية لا يسـتطيع أشـجع شـجعانهم الخـروج من بوابة المنطقة الخضـراء، والمشي خطوات على رجليه حول سورها؟!

يا رجال الإسلام في العـراق: إنه والله سـباق في نصرة دين الله، وإنَّ إخوانكم الطالبـان في أفغانسـتان على وشك أن يعلنـــوا النصر العظيم والفتح المـــبين... في أية لحظة.

وإنكم والله لا تعرفـــون على وجه الحقيقة أيَّ مرحلة من التمكين وصلنا بحمد الله.

فحالنا وحـال العـدو كما قـال علي رضي الله عنه لما قيل له: كيف كنت تصـرع الأبطـال؟ قـال: كنت ألقى الرجل فأُقدِّر أني أقتله، ويُقدِّر هو أني أقتله، فأكون أنا ونفسه عونًا عليه.

لا لن يضيع البلد الذي حمى وحمل الحضـارة الإسـلامية أطول فترة في التاريخ الإسلامي.

لن يضيع بلدُ أئمةِ الفقه والحديث واللغة والعلوم.

لن يضيع بلد الفتوح الكبرى في تاريخ الإسلام.

لن يضـيع بلد أسس مجـده الصـديق والفـاروق وأبو السـبطين علي وخـالُ رسـولِ الله سـعدٌ وسـيف الله

المسلول والمثنى وعتبة بن غزوان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لن يضيع بلد مازال ولن يزال يحفظ للسيف كرامته وللرمح رفعته وللرمي وقته.

يا دارُ مجدكِ لن يموت ولو سعى ... دهرًا جنودُ الشرِّ بالبُرَآءِ
أنتِ التي رُوِّيتِ بالدَّمِ طاهرًا ... وسلكتِ درب بطولة وفداءِ
أنتِ التي شاغلتِ أعداء الهدى ... حتى ارتقى البنيانُ للجوزاءِ
يا دارُ مَجدُكِ لن يضيع فأَمِّلي ... خيرًا ولا تسترسلي ببكاءِ
الحاقدون سيُغلَبون وإنْ هُمُ ... حشدوا جيوشَ البغي والإفناءِ
أو ألَّبوا قومًا على قومٍ ولم ... يَدَعوا سبيل المين والإلهاءِ
فلتصبري الصبرَ الجميلَ فإنه ... تاجُ اليقينِ وحليةُ العظماءِ[1]

يا أبناء العراق: يا مَن خُدع فقيل له تعال أحمِ بلدك، تعال ساهم في إعمارها، تعال كن عضوًا فاعلاً في برلمانها، تعال كن وزيرًا، استلِم قيادة عسكرية تحفظ بها أمن البلاد، لا تكن سلبيًّا، لا تترك بلدك لغيرك. فخُدعوا... واللهِ ما هؤلاء بالناصحين ولا بالحريصين على البلاد، ولو كانوا كذلك لما باعوها أول مرة، وخرَّبوها ثاني مرة، وسرقوها ثالث مرة، وها هم يطلبون الأمان لأنفسهم، والحماية لسرقاتهم، والاطمئنان إلى أنَّ الذين كانوا يعارضونهم ويخشون منهم أصبحوا حماة لهم.

فأيُّ غبي هذا الذي يصدِّق هؤلاء؟

وأيُّ مخذول هذا الذي يسوِّد تاريخه بحماية هؤلاء؟

---

[1] من قصيدة " يا دار" لمروان كجج، مجلة البيان، العدد (49) ص (60).

أرأيتم كيف فُضِـح كـلُّ المنـافقين حين حـاول رأسُـهم المـالكي ذبَّ الحـذاء الثـاني عن وجه رأس الصـليب بعـدما أرعشه الحــذاء الأول وأخضع عمَّه وأركعه؟

أرأيتم هذا المنظر؟ إنها المهمة الـتي يقـوم بها كـلُّ من يسـاهم في حماية المحتلين سـواءً كـان قائـدًا عسـكريًا أو عضــوًا برلمانيًّا أو وزيــرًا أو حارسًــا لهــؤلاء، فمهمته مهمة المــالكي في ذب الأحذية عن وجــوه الكفــر، بل والله هي أصـغر وأحقـر؛ لأنها ذبٌّ عن وجه الــذين يـذبون عن وجـوه المحتلين.

أيها النـاس: تفـاءلوا، وتفـاءلوا فقد هبَّت ريح النصر ممزوجة بـــريح الجنة يستنشـــقها الفـــاتحون كما يستنشق الأخـرى الشـهداء، والآيـات الـتي نشـاهدها كل وقت كثـيرة وعظيمة.

وإني من الآن أقرأ عليكم: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ.

أحلف بالله تحقيقًا لا تعليقًا أنَّ النصـر آتٍ، وقـد انطلـق من مكمنه، وبدت طلائعه، وأول طلائعه **انتكاسـات العـدو المتتابعة**، ففي كل ميدان نكسة، وسرُّ كـل تلـك النكسـات هو جهادنا هذا.

يا عباد الله تقدَّموا للنصر فقد ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶﭼ كما قال الله، تقدموا له لتقطفوه.

فليبـايع من شـاء على المـوت، وليبـايع من شـاء على الجهـاد، وليبـايع من شـاء على القيـام بـدوره من موضـعه، وليبايع من شاء على الإمـداد المـالي، وليبـايع من شـاء على كفالة المجاهدين وأهلهم، وليبايع من شاء على عدم قتل أيِّ مسلم بغير حق والتفرغ لأعداء الإسلام...

فهل خذَل الله قومًا تبايعوا على مرضـاته، فمـرة أنـزل السـكينة في قلـوبهم، ومـرة أنـزل الطمأنينـة عليهم، ومـرة أنزل الملائكة، ومرة أعطاهم مغانم عاجلـة، وأخـرى قادمـة،

وأعظم من ذلك كله حين جعل يده سبحانه فوق أيديهم ﭽ
ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟﭠ ﭡ ﭢ
ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ (الفتح: ١٠).

كيف لا فإنَّ من تشاركوا على تجارة كـان اللـه ثـالثهم، فكيف بمن تبايعوا في سبيله؟

يا أيها الرِّبيون: أعيـدوا أيـام الرِّبـيين الأوائـل الـذين حفظ الله ذكرهم في أرفع سجل، فقال سبحانه: ﭽﮬ

(آل عمران).

فبمجرد أن نفَّذوا أمرَ اللـه آتـاهم اللـه الثـوابين، ثـواب الـدنيا وحسـن ثـواب الآخـرة، فهـل يزهـد عاقـل في هـذا العرض؟!

يا أيها الرِّبيون: أمر الله بأمر، وتكفل بأمر، فـانظروا بم أمر، وبم تكفل، فقال سبحانه: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﭛ ﭼ (التوبة: ١٤). هل قال شاركوهم؟ هل قال احموهم؟ هل قال سالموهم؟ لا والله، ولو فعلتم ذلـك نـزل عذاب الله عليكم كما ينـزل عليهم، وربما أشد عذابًا وخزيًا.

فيـا لـذرات الإيمـان في قلـوب الرجـال ثـوري... فقـد هيجك ربك، فقال سبحانه، ﭽ

(التوبة).

أليس هؤلاء نكثوا أيمانهم؟ ألم يطعنوا في ديننا؟

إن لم ينطبق على هؤلاء أنهم أئمة الكفــر فلا أدري من هم أئمة الكفر؟!

إذًا فماذا إذا لم نستجب لقول الله: ﭽ ﮉ ﮊ ﭼ؟

يا أهـل الشـجاعة من أهـل الإيمـان، ألم يسـتثيرنا اللـه تعالى أعظم استثارة حين قال: ﭽ

ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ﯨ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ
ﯯ ﭼ (التوبة : 13)؟

أيُّ اختيار أصعب على المنافقين من هذا الاختيار؟ إما أن تخشوهم وإما أن تخشوا الله، والله سبحانه لم يترك المسألة للدعاوى، فهي واحدة من اثنين، فإن قاتلتموهم فإنكم تخشون الله، وإن تركتموهم فإنكم تخشونهم ولا تخشونه سبحانه.

أيُّ عذر أبقاه الله للقاعد؟

يا شباب المساجد: أيُّ رجل منا ما عاهد يومًا من الأيام وهو داعٍ في وتْره، أو رافعًا كف ضراعته، أو ساجدًا معاهدًا ربه في خلوته تلك على الجهاد أو على الموت في سبيله، أو سائلاً ربه الشهادة؟ أيليق بمن رآه الله يومًا معاهدًا أن يراه اليوم قاعدًا ناقضًا متشبثًا بالحياة ظانًا أنَّ الموت بالخروج للجهاد والسلامة منه بالقعود؟

احمدوا الله أن مكنكم في باقي العمر لتعودوا ثانية من غير أن تقعدوا لحظة بعد هذا النداء، فلعل أبا خيثمة لو جلس في عريشه الظليل وشرب ماءه البارد، ما خرج لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما حصل على دعوته.

هنا دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستغفاره لمن أقبل، لمن عاد،لمن تاب، هنا تجديد البيعة هنا ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ
ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ (الفتح).

قال أبو الوليد ابن الفرضي: تعلقت بأستار الكعبة، وسألت الله تعالى الشهادة، ثم فكَّرت في هول القتل فندمتُ، وهممتُ أن أرجع فأستقيل الله ذلك، فاستحييت. قال الحافظ علي (ابن حزم الظاهري) : فأخبرني من رآه بين القتلى، ودنا منه، فسمعه يقول بصوت ضعيف: لا يُكلَم أحد في

سبيل الله، واللهُ أعلم بمن يُكلَم في سبيله إلا جاء يـوم القيامـة وجُرحـه يثعب دمًـا، اللـون لـون دم، والريح ريح المسك. كأنه يعيد على نفسه الحـديث، ثم قضى على إثر ذلك رحمه الله.اهـ[1].

والله غالب على أمره، ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[1] سير أعلام النبلاء 17/179.